الشاذلى، يُحدث أزمة دبلوماسية فى الكونغو

استطاعت مصر بمساعدة السوفييت أن تبدأ مرحلة الستينيات من القرن العشرين بقوة عسكرية جديدة أشعرت الرئيس عبدالناصر بقدرته على مواجهة التحديات الخارجية خاصة بعد أن نال شهرة كبيرة فى زعامته للأمة العربية بعد مساندته للثورات التحررية في الدول العربية وكذا الدول الإفريقية والتى كان من بينها الحركة التحررية فى الكونغو برئاسة (باتريس لومومبا) عام ١٩٦٠م.

ومن أجل مساندة مصر لشعب الكونغو فى حركته التحررية، تم تشكيل كتيبة عربية شاركت فيها الدول العربية لتنفيذ مهام تابعة للأمم المتحدة لمساندة ثورة (لومومبا)هناك، واختار الرئيس عبدالناصر وقتها العقيد «سعد الشاذلى» قائدا للكتيبة العربية، لكفائته وتميزه وثقة الرئيس عبد الناصر فى أدائه.

وهناك تمركزت الكتيبة العربية في منطقة (ليبنفى) وهى مستعمرة صغيرة فى أقصى الشمال الغربى للكونجو، وتبعد عن العاصمة (كنشاسا) ١٠٠٠ كم، وتبعد عن مصر ٥٠٠٠ كم، وكانت الكتيبة العربية بقيادة العقيد «الشاذلى» مسئولة عن حماية مساحة ضخمة تعادل دولة سوريا تقريبا، ولم يكن «الشاذلى» يدرى وقتها أن تجربته فى الكونغو ستحمل إليه الكثير من المتاعب والمفاجآت فيما بعد.

مفاجأة رائعة من الرئيس عبدالناصر

كانت أولى مفاجآت الكونغو هى صرف ٥٠ ألف دولار للكتيبة العربية وإيداعها باسم العقيد «سعد الشاذلى» فى أحد بنوك الكونغو بأمر من الرئيس عبدالناصر لينفق منها «الشاذلى» على الكتيبة العربية هناك دون أدنى قيود تحسبا لأى ظروف قد تطرأ عليه، وذلك برغم أن «الشاذلى» كان قد قام بتجهيز الكتيبة المصرية تجهيزا دقيقا بكل شىء، والأمم المتحدة تحملت كل نفقات الإقامة والانتقالات ولم يكن فى حاجة لهذا الدعم المادى إلا إنها كانت لفتة تعكس مدى حرص الرئيس على الكتيبة العربية وتعكس أيضا ثقة الرئيس الخاصة وتقديره للعقيد «سعد الشاذلى».

وكانت تجربة «الشاذلى» فى الكونغو تجربة ثرية وعلامة فى مشوار حياته العسكرية عرف فيها الكثير بالاحتكاك المباشر مع القوات الأجنبية هناك، وتعرف على إمكانياتهم العسكرية وأسلحتهم الجديدة وتفكيرهم العسكرى، ولكن على الجانب الآخر كانت هناك الكثير من المتاعب التى كان عليه مواجهتها. وكانت أولى هذه المتاعب زيارة العميد (أحمد إسماعيل على) للكتيبة العربية هناك بحجة تفقد أحوال الكتيبة العربية والتعرف إلى مطالب الرئيس (لومومبا)، لكنه انتهزها فرصة للتدخل فى عمل العقيد «الشاذلى» متخذا من رتبته العسكرية الأعلى من رتبة «الشاذلى» سبيلا للتدخل فى عمله، فكان

الصدام عندما اعترض «الشاذلى» على تدخله ورفض توجيهاته، واتصل بالسلطات فى مصر لإبلاغهم بما حدث بينه وبين أحمد إسماعيل حتى انتهى الخلاف بعودة العميد أحمد إسماعيل ومجموعته إلى مصر، وكانت هذه الواقعة سببا فى بداية توتر العلاقة بين «الشاذلى» وأحمد إسماعيل وتركت فى نفس كل منهما أثرا سلبيا.

كيف واجه الشاذلى مأزق تغيير السلطة فى الكونغو؟

وعلى غير توقع من الجميع حدث انقلاب أطاح بالرئيس (لومومبا) الذى كانت الكتيبة العربية مكلفة بحماية ثورته ليحل محله الرئيس (موبوتو) لتتغير بوصوله إلى السلطة موازين الأمور خاصة بعدما عاد (موبوتو) للاستعانة ببلجيكا، وأسرف فى مهاجمته للرئيس جمال عبد الناصر وصرح برفضه لتواجد الكتيبة العربية على أرض بلاده (الكونغو) ووصفهم بالمستعمرين والمحتلين، وألحق الأذى بكل من كان يتقرب من الكتيبة العربية من أهل الكونغو أو يقدم لها العون والمساعدة، وأرادت السلطة الجديدة بذلك إحداث وقيعة بين شعب الكونغو وقواتنا العربية المرابطة على أرضه حتى بدا واضحا عداء الحكم الجديد لمصر.

وبالرغم من أن الكتيبة العربية أتت إلى الكونغو تحت علم الأمم المتحدة فإن العقيد «الشاذلى» لم ينس فى مواجهة هذه التغيرات أنه

تابــع للنظام فى مصر، فلما استشــعر العداء من الرئاســة الجديدة ضد مصــر بدأ يحتاط لحماية قواته تحســبا لما قد يجــد من أحداث، ونصح جنوده وضباطه بضبط النفس، لما رأى أن أى رد من جانب قواته العربية على استفزاز (موبوتو) ستكون نتيجته معركة سيخسر فيها «الشاذلى» ما كسبه من تأييد شعب الكونغو ومساندته للكتيبة العربية على أرضه.

اضطر «الشــاذلى» لسحب قواته العربية ســرا وبحذر شديد بمعدل ٢٠ جنديــا عربيــا فى كل مرة فى انســحاب ســرى تدريجى وبطىء؛ ليعســكروا بالقرب من مطار (ليبنفى) ليســهل إقلاعهــم فى أى وقت تحسبا لتغير الظروف أوصدور أوامر بالانسحاب! ليفوت «الشاذلى» على (موبوتو) مكائده ضــد القوات العربية، إلا أن الجنرال (فينهور) قائد قوات الأمم المتحدة شــعر بتحركات قوات «الشاذلى» وعسكرتها بالقرب من المطار، فأمر «الشــاذلى» بسحب قواتــه العربية مــن منطقة المطار وفورا، وبســبب إحساس «الشــاذلى» بالخطر على قواته العربية رفض أوامر (فينهور) واحتــدم الخلاف بينهما (الشــاذلى وفينهور)، وأمام إصرار «الشــاذلى» وتمســكه برأيه اضطر (فينهور) إلى تهديد «الشاذلى» بتقديمــه للمحاكمة لأنه لم يضع فى اعتباره تبعيته للأمم المتحدة بينما «الشاذلى» لم تنسه تبعيته للأمم المتحدة أنه تابع لمصر ومسئول عن حماية الكتيبة العربية، وأنه الوحيد صاحب القرار السياسى والعسكرى فيما يخص قواته أثناء تواجدهم فــى الكونغو، وأمام إصرار كل منهما على

رأيــه (فينهور والشــاذلى) تصاعد الصدام بينهما فــى وقت لم تكن فيه الســلطة السياســية في مصر تعلم بهذا الخلاف الــذى تصاعد ليُحدث مشكلة سياسية تطورت إلى أزمة دبلوماسية.

وأخبروا «الشــاذلى» وقتها بترتيب لقاء سيتم في مساء نفس اليوم، يجمــع بين «الشــاذلى» وبين الممثــل المدنى للأمين العــام للأمم المتحدة (همرشــلد) بحضور د.مراد غالب الســفير المصرى هناك، والذى حضر خصيصا من (كنشاســا) عاصمة الكونغو لمناقشة هذه المشكلة، مما أشعر «الشــاذلى» بالحرج، فما كان يريد إحراج الســفير(غالب) في مشــكلة «الشــاذلى» هو المسئول عنها وقادر على مواجهة تبعاتها، ولكن كانت هذه هى الترتيبات التى حددها مسئولو الأمم المتحدة.

ولــا حان وقت اللقاء وبينما كان «الشــاذلى» يرتب فى عقله الحجج والبراهــين التى ســيدافع بها عن وجهة نظره، فوجئ بأن (همرشــلد وغالب) كانت تجمعهما معرفة سابقة بالأمم المتحدة وبدلا من الحديث عن الأزمة الدبلوماســية التى تســبب فيها «الشــاذلى» أخذ (همرشــلد وغالب) يســترجعان ذكرياتهما الدبلوماسية القديمة التى تركت أثرا طيبا في نفس كل منهما وأســرفا في ســردها وكأنهمــا فى زيارة ودية ليس لها علاقة بمشكلة «الشاذلى» حتى طالت جلستهم قرابة الساعتين و«الشاذلى» يترقب مناقشــة الأزمة التى أحدثها، ولكن انتهت المقابلة دون أن يتطرق حديثهما(غالب وهمرشــلد) إلى مشــكلة «الشاذلى» التى أتيا لمناقشتها.

وعند انصراف السفير غالب سأله «الشاذلى» بقلق عن السبب فى عدم مفاتحة (همرشلد) فى المشكله، فإذا به يستقبل قلق «الشاذلى» بابتسامة هادئة وكأن الأمر ما كان يعنى غالب ولا همرشلد، وأخبره أن مثل هذه المشاكل تخص جهات عليا فربما تحدث فيها عبد الناصر مع همرشلد شخصيا ليتخذا بشأنها القرار المناسب فيما بعد، ونصح «الشاذلى» بعدم القلق أو الاكتراث بهذه المشكلة، وانصرف تاركا «الشاذلى» مع دهشته من نتائج المقابلة.

وبالفعل بعد ثلاثة أيام حدث ما توقعه السفير غالب وصدرت الأوامر من الرئيس عبدالناصر بانسحاب الكتيبة العربية من الكونغو ليلتقى بذلك القرار السياسى لعبدالناصر مع الرؤية العسكرية للعقيد «الشاذلى» فى الانسحاب فكانت هذه الواقعة هى أول حدث دبلوماسى كان العقيد «الشاذلى» طرفا فيه وكان له دخل بالأمورالسياسية بين البلاد. وبعد ١٦٣ يوما قضتها الكتيبة العربية هناك عادت القوات المصرية بسلاحها وعدتها وعتادها و٥٠٠ ألف دولار منحة عبد الناصر، لم يحتج «الشاذلى» أن ينفق منها شيئا وبذلك لم تتكلف مصر أى أعباء أو خسائر فى الكونغو.

وانتهت تجربة «الشاذلى» فى الكونغو بعد أن تركت علامة مميزة فى مشواره العسكرى وكشفت عن حرصه على مصالح قواته حتى لو عرضه ذلك للمتاعب، وعاد «الشاذلى» إلى مصر ليبدأ مهمة عسكرية جديدة فى دولة اليمن كانت فى انتظاره ولم تكن فى حسبانه.

(من الأرشيف الصحفى تجربة الشاذلى من حديث للعقيد الشاذلى فى مجلة المصور بعد عودته من الكونغو ١٩٦٠م).

«الشاذلى» فى حرب اليمن

فى منتصف الستينيات كان الرئيس عبدالناصر يولى اهتماما كبيرا بثوار اليمن، فكان الجيش المصرى يمدهم بالأسلحة ويتولى تدريبهم على القتال فى محاولة لمساعدتهم على التحرر. وفى مهمة عسكرية جديدة سافر العميد «سعد الشاذلى» إلى دولة اليمن آنذاك عام ١٩٦٥م قائدا للواء يتراوح عدده ما بين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ ضابط وجندى لمساعدة الثوار، وهناك وجد أنه أمام حرب غير متكافئة القوى، فلم يجد هناك جيشا منظما فى مواجهته لمحاربته بالأسلحة، إذ كان العدو يفتقد النظام القتالى فاكتشف «الشاذلى» أنه سيواجه حربا كانت أقرب لحرب العصابات منها للحرب المتعارف عليها بالمواجهة بالأسلحة كان العدو يلجأ فيها للحيلة لمحاربة الجيش المصرى ومقاومته ،ولجأ إلى قتل جنودنا المصريين بطرق أخرى غير المواجهه بالأسلحة، فكان يقوم العدو أحيانا بزرع الألغام فى الطرق التى كان الجيش المصرى يمر بها ليصيب منه الكثيرين، وأحيانا أخرى كان يقوم بقطع الطرق على اللوارى والناقلات التى كانت تحمل إلى الجيش المصرى الإمدادات التى كانت تأتيهم من مصر عبر جدة بالبحر حتى تصل إليهم فى صنعاء، فكان العدو يقوم بقطع الطريق عليها ويقوم بنهبها والاستيلاء عليها قبل أن تصل إلى القوات المصرية! وساعدت الطبيعة الجبلية فى اليمن العدو على تحقيق ذلك. فكانت قواتنا المصرية تواجه هناك الكثير من

المتاعب غير المتوقعة، واستنزفت حرب اليمن الكثير والكثير من عُدة وعتاد الجيش المصرى آنذاك.

وعلى الرغم مما تكبدته مصر من خسائر هائلة فى حرب اليمن فإن الفريق «الشاذلى» وجد فى تجربة حرب اليمن مكاسب معنوية كثيرة قال عنها فى إحدى تسجيلاته :

«مكاسب الحرب فى اليمن كانت مكاسب سياسية أولها سقوط نظام رجعى متخلف كان يحكم اليمن بنظام القرون الوسطى لتنتقل اليمن بتحررها إلى نظام القرن العشرين وتدخل فى النسيج العربى الحديث، ووجود القوات المصرية هناك عجل باستقلال عدن عن بريطانيا فعجل بدوره باستقلال الدول المجاورة مثل سلطنة عمان والإمارات والبحرين والكويت، وعجَّل برحيل الاحتلال البريطانى عن هذه المنطقة العربية لما وجد أن استمراره فى احتلالها سيكبده الكثير، فالمستعمر عادة يبحث عن احتلال بلا خسائر. ولم تكسب مصر من حرب اليمن أية مكاسب مادية لكن مكاسبها كانت مؤجلة، جنيناها على المدى البعيد فى حرب ١٩٧٣م عندما كانت قواتنا البحرية متمركزة عند مضيق باب المندب وساعدتنا اليمن وقتها فى إغلاقه أمام الإمدادات المارة إلى إسرائيل، ولولا رصيدنا لديهم فى حرب اليمن ١٩٥٦م ونجاحنا فى مساعدة شعبها على الاستقلال ما كان تعاونهم معنا فى حرب ١٩٧٣م وكذلك إمدادهم لنا بالمال وما حصلنا عليه من مساهمات من العرب

وصلت إلى ١٧ مليار دفعتها الدول العربية للســادات فى حرب ١٩٧٣م كل ذلك كان حصاد مساندة مصر لهم فى حركاتهم التحررية»

ويبقــى ســؤال: هل كانت هناك صلة مباشــرة بين وجــود قواتنا المصريــة للحرب في اليمن وبين هزيمة جيشــنا فى حــرب يونيه عام ١٩٦٧م (حرب النكسة)؟

❑❑❑

obeikandl.com